تأثير اللغة العربية في اللغة الكُردية

كتاب (دوورشته) انموذجا للعلامة الملا عبدالكريم مدرس

م.م. عبدالله أدهم نصرالدين

الملخص

يتناول هذا البحث دراسة تأثير اللغة العربية في اللغة الكُردية ومدى تأثر الكُردية بالعربية وصور هذا التأثير والتأثر اللغوي، فمن المعلوم أن الشعوب الإسلامية الناطقة بغير العربية قد تأثرت بشكل كبير بلغة القرآن الكريم، ويرجع سبب ذلك بصورة مختصرة إلى فهم تعاليم الإسلام، حيث تهدف هذه الدراسة إلى كشف أشكال تأثر اللغة الكُردية باللغة العربية، وصور استعمال الكلمات العربية في اللغة الكُردية، وهذا التأثير والتأثر يتمثل بأمور ثلاثة:

١. تأثير اللغة العربية في اللغة الكُردية بألفاظها دون تغيير في بنيتها أو إبدال في أصواتها.
٢. تأثيرها في اللغة الكُردية مع تقييد كلماتها بقواعد اللغة الكُردية، ونقصد بالقواعد: إسناد الكلمة العربية إلى الضمائر الكُردية، واستعمالها حسب قواعد النفي والاستفهام وغيرها من القواعد الخاصة بالمعاني في اللغة الكُردية.
٣. تأثيرها في اللغة الكُردية بإبدال بعض أصوات الكلمة العربية بأصوات أخرى تناسبُ الاستعمالَ اللغوي للغة الكُردية، وكان علة هذا الإبدال بسبب قرب أو اتحاد المخرج.
٤. تأثيرها في اللغة الكُردية بإبدال بعض أصوات الكلمة العربية بأصواتٍ تناسبُ الاستعمالَ اللغوي للغة الكُردية بسبب صفة الصوت.

المقدمة

بسم الله والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين:

فإن اللغة العربية هي لغة القرآن الكريم بالمرتبة الأولى وهو يعني الدين الإسلامي، وقد كان الإسلام يوما ما امبراطورية كبرى لغتُها الأساسيةُ هي العربيةُ، حيث دخلتْ بلدان وأقوام كثيرة بالإسلام واعتنقوه بكل روح وجأش وبدؤوا يتعلمون ما عليهم من تعاليمَ وفرائضَ وسننٍ يجب تطبيقها، ما أدى ذلك بهم إلى أن يتعلموا القرآن الكريم ويدرسوا لغته؛ لكي يأخذوا منه تعاليم الدين الإسلامي، وكانت اللغة العربية هي اللغة الوحيدة التي تربط الدين الإسلامي وتوصله إلى الأقوام الأجنبية؛ مما لفت أنظار غير العرب من القوميات الأخرى أن يدرسوها ويتعلموها، فأدى ذلك إلى استعمال هذه القوميات للكلمات العربية في حياتهم اليومية، ولا سيما في الأمور المتعلقة بالدين ثم تطورت صور هذا الاستعمال إلى استعمال الكلمات العربية في المسائل الاجتماعية والاقتصادية، وهكذا فإن مبالغة التأثر باللغة العربية أدت بالأقوام الداخلة في الدين الإسلامي إلى تعمد استعمال كلماتها كما تحدث في العصر الحديث مع اللغة الانجليزية فحتى العرب أنفسهم بدؤوا يستعملون الكلمات الانجليزية أثناء تحدثهم باللغة العربية في الوقت الحاضر؛ نظرا لقوة تأثرهم بهذه اللغة.

وقد كان السبب الأقوى الذي لفت نظر الباحث لدراسة تأثير اللغة العربية في اللغة الكُردية؛ كونه أحد أساتذة اللغة العربية في كُردستان العراق، وهو يعمل في مجال تعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها، فضلا عن اتقانه للغتين معا، وبهذا فقد لاحظ الباحث أنه ثمة كلمات كثيرة للغة العربية تُستعمل ضمن اللغة الكُردية، مما آثر في نفسه أن يكشف صور هذا الاستعمال اللغوي فوقعتْ يده على كتاب (دوو رشته) للدكتور عبدالكريم مدرس(رحمه الله)، وهو قاموس كُرديٌّ عربيٌّ، ويطلق عليه باللغة العربية (المنجد)، حيث ألفه الكاتب على شكل أبيات تعليمية، وبعد قراءة أبياتها حصل الباحث على كلمات عربية كثيرة تستعمل في اللغة الكُردية للمعاني نفسها، لكن صور استعمالها تختلف، وعلى هذا الأساس قام بتقسيم البحث إلى ما يأتي:

المبحث الأول: التأثير المعجمي (اللغوي): وهو على مطلبين:
المطلب الأول: صمود البنية المعجمية (اللغوية).
المطلب الثاني: الإضافة إلى البنية المعجمية (اللغوية).
المبحث الثاني: التأثير المعجمي مع إبدالٍ لأصواتِ بعض الكلمات: وهو على مطلبين أيضا:
المطلب الأول: الإبدال الصوتي بسبب المخرج.
المطلب الثاني: الإبدال الصوتي بسبب صفة الصوت.

ويلي هذين المبحثين خاتمة واستنتاجات ذكر فيها الباحث أهم الأمور التي توصّل إليها من خلال دراسته هذه.

وفي النهاية نرجو أن يكون هذا البحث قد كشف جانبا مهما ما بين اللغتين (العربية والكُردية) وأضاف للبحوث الإنسانية دراسة جديدة تناولت جانب التأثير والتأثر؛ لكي يُسَطّر مع البحوث الأخرى التي تعمل بهذا الاختصاص، وهو برأينا دراسة جديدة بين العربية والكُردية لم تُسبق بدراسات أخرى بين هاتين اللغتين القريبتين دينيا وجغرافيا واجتماعيا واقتصاديا.

المبحث الأول: التأثير المعجمي (اللغوي)

يُقصد بهذا المبحث التشابه اللغوي المعجمي في ذات الكلمات؛أي: استعمال الكلمة العربية في اللغة الكُردية بعينها.

المطلب الأول: صمود البنية المعجمية (اللغوية):

ثمة كلمات عربية كثيرة تُستعمل في اللغة الكُردية بعينها من دون تغيير في بنيتها وجذرها اللغوي، ولا يراد بها طريقة الكتابة، إذ إنّ اللغة الكُردية لها مميزات خاصة في كتابة الحروف والكلمات، فهي تختلف عن اللغة العربية في رسمها الكتابي بل هي أشبه بالكتابة العروضية، فنريد بتلك الكلمات من حيث الجذر اللغوي بعيدا عن طريقة كتابتها بل الكلمة كما هي بعينها ومعناها دون تغيير في أصواتها ودون إلحاق بها من الكُردية.

وإليك قائمة من الكلمات التي اُستعملتْ في اللغة الكُردية للمعاني نفسها في اللغة العربية(٣):

الكلمة في اللغة العربية	الكلمة في اللغة الكُردية
نفس	نه فس
بشر	به شه ر
فكر	فيكر
لقلق	له قله ق
يعني	يه عنى
غير	غه ير

وهكذا فقد وجدت كلمات كثيرة من هذا النوع تستعمل في اللغة الكُردية بعينها دون تغيير في جذرها ومعانيها، وحاول الباحث أن يورد بعضا منها على سبيل المثال من أجل دراستها والنظر في حقيقة هذا التأثير والتأثر.

فلو أخذنا كلمة (نفس) التي تكتب باللغة الكُردية (نه فس) لوجدناها هي نفسها التي تستعمل في اللغة العربية وللمعنى ذاته، مع وجود لفظة خالصة باللغة الكُردية لمعنى (نفس) وهي (هاوشيوه) لكنهم استعملوا الكلمة العربية وبكثرة وليومنا هذا، بل إن استعمال الكلمة الكُردية (هاوشيوه) لا تكاد تستعمل إلا على لسان الطبقة المثقفة أو العلمية فقط، أما باقي المجتمع العام فهم يستعملون الكلمة العربية للتعبير عن معنى النفس.

وهذا دليل واضح على تأثير اللغة العربية في اللغة الكُردية، ولربما تُعزى سبب ذلك إلى سبب ندرة وجود القاموس الكُردي، فلو

نظرنا بعيدا في تاريخ اللغة الكُردية، وجدناها لغةً لم تملك اهتماما بارزا من اللغويين الكُرد بل انهالت جهود علماء الكُرد من قبلُ تجاه اللغة العربية، ويكفي أن نذكر منهم ابن هشام وابن الحاجب وغيرهم من علماء اللغة، فقد كان عدم الاهتمام باللغة الكُردية إحدى أهم المشاكل التي واجهتها في تاريخها اللغوي مما أدى بها الحال إلى أن تتأثر بلغات جيرانها من الناحية الجغرافية ولا سيما في العراق، فضلا عن الاختلاط الاجتماعي بين الكرد والعرب فقد أدى ذلك بهم الى التزاوج والمصاهرة والعمل بينهم وبين العرب، فالاختلاط والاحتكاك المباشر بين اللغات تؤدي إلى انتقال مفردات لغةٍ إلى لغةٍ أخرى، ولا سيما من العربية المتسلطة إلى غيرها في وقتها، فقد انتقلت مفرداتها إلى اللغات العالمية الأخرى كـ (الاسبانية والايطالية واليونانية والانجليزية والفارسية...) (٤)، فكيف باللغة الكُردية وهي الأقرب جغرافيا الى اللغة العربية فالاحتكاك والتعايش إحدى أهم الأسباب التي تؤدي الى التلاقح اللغوي بين اللغات.

وهكذا فإنّ الأمر بالنسبة للكلمات المذكورة آنفا وغيرها، منها ما دخلت إلى الكُردية لأسباب دينية وهي كثيرة ولا يخفى على أحد أن الكُرد اعتنقوا الدين الاسلامي بدون حرب بل بكل إرادتهم مما دفعهم إلى التوغل في الدين الاسلامي فأحبوه وقرؤوا القرآن الكريم وانشغلوا بدراسته من فقه وحديث وهذا دفعهم إلى دراسة علوم الآلة من أجل فهم القرآن الكريم بعد محاولة وجهد منهم إلى تعلم اللغة العربية، وإن الدين الاسلامي يتطلب من معتنقيه قراءة القرآن الكريم والانصات إليه وتدبره، وهكذا القيام بأداء الشعائر الدينية والفرائض، فالصلاة تحتم على المصلي حفظ قصار السور على الأقل، وكل هذه مقترن بتعلم اللغة العربية واستعمال ألفاظها.

فأصبحت اللغة المحلية هي اللغة المتداولة بين الناس في حياتهم اليومية (السوق، البيت)، وأما اللغة العربية فأصبحت لغة العبادة والدراسة في المدارس بشكل عام، وفي المدارس الشرعية والدينية بشكل خاص، الى أن تطورت اللغة الكُردية واستفاقت من سباتها وأصبحت الآن تدرس في المدارسن وهذا لا يعني أن اللغة العربية أصبحت دراستها ضئيلة مما سبق بل تكاد تدخل في كل طيات حياتهم (٥).

المطلب الثاني: الإضافة إلى البنية المعجمية (اللغوية):

يقصد الباحث بهذا االمطلب إضافةَ بنيةٍ لغويةٍ كُردية إلى البنية العربية الداخلة في اللغة الكُردية مثل: خه به ردار؛ أي(خبر + دار)، وهذه كثيرا ما تحدث مع اللغات الأخرى، ولاً سيماً مع اللغة العربية، فإنها كثيرا ما ما تضيف أو تعدل من الكلمة الداخلة إليها من أجل أن تجريها على بِنى لغتها، وهذا ورارد مع اللغة الكُردية وهي عادة ما تحدث مع الأفعال والأسماء والصفات حين إسنادها الى الفاعلية والمفعولية أو عند جمع الكلمات أو نفيها في اللغة الكردية.

وإنّ هذه الإضافات الى الكلمة العربية قد تكون في مقدمة الكلمة أو في آخرها، مما تجعل البنية اللغوية المتأثرة الداخلة من اللغة العربية لا تحافظ على نفسها كما هي في العربية، بل تضاف إليها كلمة أو علامة من اللغة الكُردية؛ لكي تحقق دلالتها الصحيحة باللغة الكُردية، وهذه الاضافات عبارة عن قواعد بنيوية في أكثر الأحيان، فمثلا إن اللغة الكُردية تستخدم للمتكلم حرف (الميم) فيقولون في مثل: أنا كاسب – كاسبم، وللمخاطب (الياء): كاسبى، بدلا من: أنت كاسب، وللغائب (الهاء): كاسبه بدلا من هو كاسب، فلو نظرنا إلى كلمة (كاسب) في المرات الثلاث وجدناها أنها بدون الإضافة اللغوية الكُردية قد حافظت على أصلها اللغوي من العربية، لكنها لم تتمكن أن تؤدي معاني المتكلم والمخاطب والغائب إلا بعد الإضافة الكُردية، ويمكن أن نسمي هذا النوع من الإضافات بقواعد الإسناد.

وهذه جملة من الكلمات التي سنحاول أن نقف عليها في بيان ما جرى معها من الإضافة الكُردية مع الحفاظ على الأصالة العربية (٦):

الكلمة في اللغة العربية	الكلمة في اللغة الكُردية
خبر	خه به ردار
دباغ، زرع	دة باغ كة ر، زة رع كة ر
شق	ليَو شة ق
عيب	عة يب كر
شراب	شة راب فروَش
غير أمين	نا ئة مين

وثمة كلمات كثيرة من هذا الباب لم أذكر المكررة والمتشابهة منها من باب الاختصار فقط.

والآن سنحاول أن نكشف عن الإضافة الكُردية التي دخلت الكلمة العربية وخالطتها من أجل تأدية الوظيفة اللغوية، وإذا سُئلنا ما سبب التفصيل في الوقوف على الكلمات المذكورة أعلاه؟ قلنا: إن كل إضافة إلى الكلمة العربية هي عبارة عن قاعدة لغوية للغة الكُردية؛ كي نشير إلى عمق هذ اللغة وأنها لا تخلو من قواعد خاصة بها فلو أخذنا الكلمة: خه به ردار،، نجد أن الأصل اللغوي التي تأثرت بها اللغة الكُردية هو مادة لغوية عربية وهو ما يمثل تأثير اللغة العربية في اللغة الكُردية، فكلمة (خه به ردار) جاءت من كلمة (خبر + دار) فالجزء الأول عربي خالص، والثاني كُردي، جاء من أجل الدلالة على معنى (منتبِه)، وهذه قاعدة لغوية كُردية في الدلالة على الفاعلية.

والدلالة على الفاعلية في اللغة الكُردية تأتي من قواعد أخرى غير (دار، وده ر) كما في الجدول أعلاه، فهي تأتي أحيانا بإضافة (به) في بداية الكلمة مثل(به غيره ت، وبه خه به ر) والأصل اللغوي للكلمتين عربية من (غيرة، وخبر) لكن (به) هنا جاء للدلالة على الفاعلية مقيّدا بمعنى (ذو، صاحب) فالكلمة الأولى بمعنى: ذو غيرة، والثانية: ذو خبر، وهي دلالة زائدة ومغايرة في الفاعلية عن الأولى، أي: إضافة (دار، وده ر) في نهاية الكلمة، وكلا الأمرين واضحين في العربية.

أما الكلمتان (ده باغ كه ر، وزه رع كه ر) فالأصل اللغوي لهما في اللغة العربية (دباغ، وزارع) وإن دلالة هاتين الكلمتين في اللغة العربية تعني (اسم الفاعل)، بينما لا تعطي ذلك المعنى في اللغة الكُردية حتى بعد دخولها إليها من العربية إلا بقاعدة (كه ر) في نهاية الكلمة، و(كه ر) تميز الفاعلية عن سابقيها في (خه به ردار، وبه غيره ت) في أنها صيغة للدلالة على المهنة، أي: أنها فضلا عن جعلها الكلمة العربية تدل على الفاعلية، فإنها جعلتها مهنة ثابتة لصاحبها وليس مجرد وصف لها.

ونستنتج من الإضافات السابقة أن كلا منها جاءت للدلالة على الفاعلية مع معنى زائد على المعنى الأول، فـ (دار، وده ر) في نهاية الكلمة زادتا على معنى الفاعلية معنى الوصفية للاسم، أي: إن الفاعلية أصبحت صفة ثابتة تشبه الصفة المشبهة في اللغة العربية، والثانية (به) جاءت للدلالة على الفاعلية الدالة على الحدوث والتجدد في العربية، والثالثة (كه ر) أضافت معنى المهنة للشيء، وكل هذه بعد الدلالة الأولى أي: الفاعلية.

ومن الأمثلة على الإضافة اللغوية الكردية في مقدمة الكلمة العربية: (ليو شه ق)، فهي تعني في العربية (من أصابه شق في شفتيه أو إحداهما)، وإذاما أردنا الرجوع إلى الأصل اللغوي للكلمة وجدناها متألفة من جزء كُردي وأخرى عربي، وهما: (ليو) الكُردية أي: الشَفَة، و(شق) العربية المعروفة، وهما أصلان لغويان من لغتين مغايرتين اجتمعتا للدلالة على معنى معين وهو ما ذكرناه آنفا، واللغة الكُردية كثيرا ما تعتمد على مثل هذه التراكيب المُجزّأة للدلالة على معنى معين، فإنها ليست كالعربية غنية بالألفاظ بل إذا ما أرادت أن تدل على معانٍ مغايرة، فإنها تقوم بالجمع بين جزأين قريبين بالمعنى لاشتقاق وتوليد معنى آخر، فمثلا كلمة (رِىَ) في اللغة الكُردية تعني: (طريق)، و(طرتن) تعني: (المسك)، فإذاما أرادت أن تخلق معنى آخر للدلالة على معنى جديد قريب منهما كمعنى الاعتراض، جمعت بينهما وقالت: (رِىَ طرتن) فأصبحت الآن تدل على معنى جديد وهو الاعتراض، ولكنّ هذا الأمر ليس اعتباطيا بل إن اللغة الكُردية تنظر إلى كلمتين وتتأمل في أصلهما وتتفاهم الجمع بينهما من حيث القرب والإمكان بالجمع بينهما لتوليد معنى آخر.

وثمة قواعد أخرى خاصة باللغة الكُردية تُجرى على بنية الكلمات الداخلة من العربية إليها مثل قواعد النفي، فالنفي في اللغة الكُردية يكون بأداة (نا) بإضافتها في بداية الكلمة الكُردية وكذلك الكلمة العربية الداخلة الى الكُردية، فعندما دخلت كلمة (أمين) إلى الكُردية وأرادت اللغة الكردية منها النفي فإنها لم تلجأ إلى استعمال أداة النفي في العربية وهي (لا، وليس) بل إنها تملك أداة خاصة بها في النفي وهي (نا) فقالت: (نا أمين)، أي: ليس أمينا، وتكتب بالكتابة الكُردية (نا ئة مين)، وكذلك يقولون: (نا رِازى) أي: ليس راضيا.

ونستخلص مما سبق الى أن الكلمات العربية قد وجدت لها مكانا واسعا في اللغة الكُردية، لكنها كثيرا ما قُيِّدَتْ بقواعد اللغة الكُردية، وهذهالقواعد إن دلت دلت على كون اللغة الكُردية من اللغات المتصرفة المرنة القابلة للتأثر والتأثير وهي من ميزات اللغات المتصرفة، فهي حافظت على قوتها في قواعدها اللغوية كاللغات الأخرى مثل العربية التي إذا ما أرادت أن تستقرض كلمة من لغة أخرى فإنها أجرتها على سبيل قواعدها وبناها الخاصة، وهكذا فعلت اللغة الكُردية، فلولا هذه القواعد لَمَا دلت الكلمات الداخلة من العربية الى الكردية على معانيها المرادة في الكردية.

المبحث الثاني: التأثير المعجمي مع إبدال لأصوات بعض الكلمات:

سنتطرق في هذا المبحث إلى مسألة الإبدال الصوتي لبعض الكلمات الداخلة الى اللغة الكُردية من اللغة العربية لكنها تعرضت في بعض أصواتها إلى إبدال صوتي بسبب مخرج أو صفة الصوت، وينقسم هذا الإبدال ضمن هذا المبحث على ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: الإبدال الصوتي بسبب المخرج:

أولا: الإبدال بسبب قرب المخرج:

سنورد في هذا المطلب الكلمات التي أصيبتْ بعضُ أصواتها بإبدال؛ بسبب قرب مخرج الصوتين من بعضهما البعض، وإن المعيار الذي اعتمدنا عليه في فرز هذه الكلمات ودراستها تحت هذا المطلب جاء على أساس أننا وجدنا الصوتين المُبدَلين مكان بعضهما مستعملان في اللغة الكُردية دون صعوبة أو كون أحدهما غير موجود في اللغة الكُردية، بل إن الصوتين ضمن الأصوات الكُردية ويستعملان بكثرة فيها؛ لذلك حكمنا على أن الإبدال الجاري بينهما جاء من باب قرب المخرج لا من باب كون أحد الصوتين ليس من أصوات اللغة الكُردية، ومن أجل ذلك اتخذناه معيارا في دراستنا وتسميتنا هذا المطلب بهذا الاسم.

وإليك الكلمات الآتية التي حدث فيها إبدال صوتي؛ بسبب قرب المخرج بعد دخولها من العربية إلى الكُردية (٧):

الكلمة في اللغة العربية	الكلمة في اللغة الكُردية
حاسة	هةسة
حلاج	هة لاج
خوخ	قۆخ

هذه بعض الكلمات التي حصلنا عليها من خلال قراءتنا لكتاب (دوو رشته) لكنك لو بحثت عن كلمات أخرى لوجدت على شاكلتها كثيرة،إلا أننا استوفينا بذكر ما سبق في الجدول لكون دراستنا جاءت في إطار الكتاب المذكور.

فلو أمعنا النظر ما في الجدول من الكلمات أعلاه وما جرى لأصواتها من إبدال وجدناها أن الأصوات المبدلة فيها كانت من باب قرب المخرج مع استعمال الصوت المبدل منه في اللغة الكُردية، لكن الإبدال جرى بين الصوتين حالها حال اللغة العربية عندما تتبادل الأصوات في كلماتها فيما بينها؛ بسبب قرب المخرج، وإليك بيان ذلك:

١. هه سه، هه لاج: نجد أن صوت الهاء في هاتين الكلمتين أبدل من صوت الحاء؛ لقرب مخرجهما من بعضهما، إذ إن مخرج الصوتين؛ أي: الهاء والحاء، من مساحة واحدة وهما من أصوات الحلق، فالهاء يخرج من أدنى الحلق من الحنجرة(٨)، والحاء من فوقه من وسط الحلق(٩)، علما أن صوت الحاء يستعمل في اللغة الكُردية بشكل سائغ دون مشكلة في صعوبة نطقها فهو يستعمل في كلمات كردية بحتة مثل: حه وانه وه؛ أي: الاستراحة، و: حه وت، أي: الرقم سبعة، و: حه شارده، أي: مكان للاختباء أو الملجأ، وهذا دليل على صحة معيارنا كون الإبدال بين الصوتين جرى من باب قرب المخرج لا لأسباب صوتية من باب وجود وعدم وجود أحد الصوتين في اللغة الكردية، وربما جاء ذلك الإبدال من باب كثرة استعمال صوت الهاء في اللغة الكردية وكون الهاء أقل ضغطا على المخرج من الحاء، وهذه الظاهرة معروفة لدى اللغة الكردية التي سنتطرق عليها في مطلب الابدال بسبب صفة الصوت، فإنها تبتعد عن استعمال الأصوات التي تلقى فيها ضغطا على المخرج كالطاء والصاد وغيرها وتبدلها بغيرها بالتاء والسين.

٢. قوخ: إن أصل الكلمة في العربية: خوخ، ومعناها: الفاكهة المعروفة في اللغتين العربية والكردية، وإذا نظرنا إلى استعمال الصوتين أي: (القاف والخاء) في اللغة الكردية وجدناه وارداً دون أي عائق، فهم يقولون: قه ره بوون، أي: التعويض، وسه رقال، أي: الانشغال، وخه سوو، أي: أبو الزوج، وخورما، أي: التمر) فاستعمال الصوتين على حد سواء سائغ في اللغة الكردية، وإنما جاء الإبدال بين الصوتين من باب قرب المخرجين، فمخرج الخاء من أدنى الحلق من الطبق(١٠) ومخرج القاف فوقه قليلا من اللهاة(١١).

ثانيا: الإبدال الصوتي بسبب اتحاد المخرج:

١. ته زبيح: إنّ الأصل اللغوي لهذه الكلمة في العربية هو: تسبيح، وهو مأخوذ من الجذر العربي: سبّح يسبّح تسبيحا، واللغة الكردية تستعمل هذه الكلمة اسمَ آلة للتسبيح لا بمعنى المصدر، فالعربية إذا أرادت أن تستعمل اسم الآلة من المصدر: تسبيح، قالت: مِسبَح، أو مِسبحة، كما تقول: مِقبَض ومِقص ومِكنَسة وغيرها، فلأسماء الآلة أوزان خاصة في اللغة العربية وهي (مِفْعَل، ومِفْعلَة، ومِفْعال)(١٢) أما اللغة الكردية فقد أخذت المصدر العربي واستعملتْها بمعنى آلة للتسبيح، لكنّ المعنى العام للكلمة مشتركة بين العربية والكردية وهو التسبيح، وقد قامت اللغة الكردية بإبدال صوت الزاي من صوت السين، وكلا الصوتين سائغين في الاستعمال الكردي، فهم كثيرا ما يبدلون صوت السين من صوت الصاد العربية الخالصة، وصوت السين يكاد يكون من أصول أصوات اللغة الكردية وإلا لَمَا أبدلتْه من الصاد، فالصوتان (الزاي والسين) من الأصوات المستعملة بكثرة في اللغة الكردية، لكن الإبدال جاء بينهما من باب اتحاد المخرج، فمخرج هذين الصوتين واحد وهو طرف اللسان بالضغط على أصول الثنايا العليا(١٣)،فكان إدراجنا إياهما ضمن مطلب اتحادج المخرج؛ كون الصوتين يستعملان في اللغة الكردية على وجه سواء كما وضحنا ذلك فيما سبق.

٢. باروود: الأصل اللغوي لهذه الكلمة في اللغة العربية هو: الباروود، وعندما انتقلت الى اللغة الكردية أُبدل صوت التاء من صوت الدال؛ بسبب اتحاد مخرجهما، إذ إن مخرج الصوتين واحد من طرف اللسان مع ما يحاذيه من أصول الثنايا العليا، فهما لثويّان لسانيّان(١٤)؛ وبسبب هذا الاتحاد المخرجي زاح اللسان من الدال الى التاء، ويمكن أن يكون لصفة صوت التاء علاقة زائدة في هذا الإبدال بين الصوتين، فالوقوف على التاء في نهاية الكلمة أسهل وأخف من النطق بالدال؛ لكون الدال شديد مجهور والتاء شديد مهموس(١٥)، إذ إن للدال اهتزاز واضح يصاحبه أثناء نطقه فهو أثقل من التاء. لكن هذا لا يمنع استعمال صوت الدال في اللغة الكردية فهم يقولون: داخستن، أي: الاغلاق، ودةرضوون، أي: الخروج، ودةرطا، أي: الباب)، وإذا كانت الحجة في إبدال التاء من الدال في نهاية الكلمة فقط دون بدايتها، فلماذا لم يبدلوا الدال في نهاية كلمة (كود) المنتقلة الى الكردية من الانجليزية، فالمسألة مسألة مخرجية وهذا وارد في شأن اللغات ولا سيما العربية.

٣. بزمار: حدث في هذه الكلمة إبدالان وهما: إبدال الباء من الميم، وإبدال الزاي من السين، وكلا الإبدالين من باب اتحاد المخرج، إذ إن أصل الكلمة في اللغة العربية (مسمار)، ومخرج الباء والميم من مكان واحد وهو ما بين الشفتين(١٦) إلا أن الباء يحدث عند الضغط بإطباق الشفتين، والميم يحدث بإطباق أخف مما سبق، فعندما استعملت الكلمة في اللغة الكردية أصبحت (بزمار)، فأُبدل الميمُ باءً، والسينُ زايا؛ لاتحاد مخارج هذه الأصوات، فكان أن زال اللسان الى استعمال الصوت الثاني بدلا من الأول، وربما يكون سبب ذلك الابدال من باب قصد استعمال الأصوات المجهورة في مثل هذه الكلمة وشاكلتها من الكلمات التي تتعلق بالمهن والأعمال اليدوية؛ لكون هذه المهن والأعمال تفتقر الى أصوات مجهورة وقوية تتمثل بالاهتزاز أثناء نطقها، وربما يكون من باب محاولة تغيير البنية العربية فقط دون غيره وهذا وارد في أمر اللغات، ويعزز هذا الرأي كون هذا الإبدال بين لغتين مغايرتين لا بين لهجتين للغة واحدة، فدراسة أصوات اللهجات ضمن اللغة الواحدة يمكن تفسيرها بالصفات أكثر من المخارج، ودراسة التبادلات الصوتية بين لغتين مغايرتين عادة ما تأتي من باب محاولة تغييب البنية الأصلية من اللغة المنقولة منها الى اللغة المنقولة إليها.

المطلب الثاني: الإبدال الصوتي بسبب صفة الصوت:

سندرس في هذا المبحث الإبدال الجاري بين الأصوات بسبب صفاتها بعد انتقالها من العربية الى الكُردية، وستكون دراستنا في هذا المطلب للكلمات الآتية:

١. إبدال الزاي من الذال: مثل: زات، زه وق: إن الأصل اللغوي لهاتين الكلمتين في اللغة العربية هو: ذات، وذوق، وهما كلمتان معروفتا المعنى، وإن الإبدال الذي جرى في أصواتهما حينما انتقلتا الى اللغة الكردية هو إبدال صوت الزاي من الذال؛ ولكون الباحث يعمل في مجال تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها ولا سيما الكُرْد، فإنّه كثيرا ما يصادف مثل هذا الإبدال على لسانهم، بل إنّ ذلك لا يتمثل عند بعضهم في النطق فقط، وإنما يتعدى ذلك الى الكتابة أيضا؛ أي: إبدال الزاي من الذال نطقا وكتابة، وهذا كثيرا ما نجده عند

المتعلمين الجدد للغة العربية من القوميات الأخرى وعلى رأسهم متعلمي القومية الكردية، فهم ينطقون كل ذال زايا، فيقولون في مثل: إذاً – إزاً، وفي: هذا – هزا، وفي ذهبَ- زهبَ، وهكذا بنطق الذال زايا. ونستنتج من هذا أن إبدال الزاي من الذال عند غير العرب أمر جلي عند تعلمهم اللغة العربية، وبهذا يكون هذا الإبدال ظاهرةً صوتيةً على لسان غير العرب؛ كون صوت الذال أقرب إلى الأصوات التي تكاد تكون خاصة باللغة العربية حالها حال (الطاء، والصاد، والضاد، والظاء) فإنّ هذه الأصوات الأربعة تنحصر استعمالها في اللغة العربية، وسبب ذلك؛ كونها أصواتا مجهورة وتتميز بصفة الإطباق والاستعلاء(١٧)، وهذه الصفات الثلاث تكثر دورانها على لسان العرب؛ لانحدار أفصحهم من البدو وجزيرة العرب، ومعروف لدى اللغويين أن صفات الجهر والاستعلاء والشدة من الصفات المُحبّبَة لدى البدو؛ لافتقارهم إليها في قطع المسافات الطويلة والواسعة أكثر من الصفات التي تكون موجودة لدى أهل الحضر كالهمس والاستفالة وغيرها من الصفات الخفيفة. فالذال ينتمي إلى صفة الجهر ويرافقه اهتزاز وشدة في نطقه، لكنّ هذا السبب غير كافٍ لأنْ نقول: إن الكُرْد أبدلوا من الذال زايا بسبب صفة الهمس فقط، بل إن الذال غير مستعمل عندهم أصلا وعدم استعمالها له؛ بسبب كون الذال من مخرج الظاء الخالصة للعربية، فيكون ذلك هو الذي دعاهم الى اختيار صوت آخر أخف صفة منه وأبعد من الظاء، فاستعملوا الزاي القريبة من الذال كما أن بينهما علاقة انحدارية؛ أي: يمكن أن ينحدر اللسان من الذال إلى الزاي بصورة طبيعية أكثر منه إلى صوت آخر، لو أنعمنا النظر في ذلك.

٢.إبدال الزاي من الظاء والضاد: لا يخفى على المشتغل في اللغات أن اللغة العربية مشهورة بلغة (الضاد)، وليس هذا الصوت وحده بل الأصوات التي تتميز بصفة الإطباق، فالأصوات: (ض، ظ، ط، ص)، كلها من ضمن الأصوات التي تختص بها اللغةُ العربيةُ، وإنّ أيّ لغة أخرى إذا ما حاولت استعمال كلمة عربية فيها هذه الأصوات كالكردية والتركية والفارسية، فإنها تحاول التخلص منها والعدول إلى أصوات أخف منها؛ لكونها من خواص العربية؛ بسبب صفاتها: الجهر والإطباق والشدة. وهكذا فعندما تأثرت اللغة الكردية باللغة العربية من خلال استعمالها لبعض كلماتها التي تتضمن صوتي الظاء والضاد فإنها اضطرت إلى إبدالهما من الزاي؛ لصعوبة النطق بها كونها تتميز بالصفات السابقة واختصاصها باللغة العربية، وبذلك استعملت الكردية صوت الزاي بدلا منهما؛ كونه أخف في النطق من سابقيه أولا، وأقرب منهما ثانيا؛ لأننا نشعر أن نطق الزاي بدلا من الظاء والضاد يأتي من باب تشرُّبهما في النطق، فعندما تتشرب هذه الأصوات تنتقل زايا، وهذا هو السبب الذي دعا الكرد الى أن يعدلوا منهما إلى الزاي، وبما أننا نمتلك اللغتين ونتقنهما لا بل نتعايشهما فإننا نشعر بهذا التشرب.

الكلمة في اللغة العربية	الكلمة في اللغة الكوردية
قظاء	قة زا
مضبوط	مة زبووت
حضرة	حةزرةت
فرض	فةرز
ضرر	زةرةر

وفي النهاية يمكن القول إن مسألة صعوبة النطق لدى الشخص الكردي هي التي جعلته أن ينتقل إلى استعمال صوت آخر أخف منهما وأشبه بهما في صفة الاهتزاز في الوقت نفسه وهو الزاي، وإلا لماذا لم تعدل اللغة الكردية إلى استعمال صوت آخر غير الزاي وما أكثر الأصوات السهلة والخفيفة، هكذا يبدو للباحث، فضلا عن محاولة تجنب استعمال أصوت خاصة تتميز بها اللغة العربية عن غيرها من اللغات. والله أعلم. وهذه قائمة لبعض الكلمات التي وردت في كتاب (دوو رشته)، والذي حصل بها إبدال بين الزاي والظاء والضاد، ويبدو منها تأثير العربية بارزا في اللغة الكردية وتأثر الثانية بها، لكن بقواعد الإبدال الخاصة باللغة الكردية (١٨).

٣. إبدال التاء من الطاء: إنّ هذا الإبدال الجاري بين هذين الصوتين لا يختلف كثيرا عن الإبدال الذي سبقه بين الزاي والظاء والضاد معا، فالطاء من ضمن أصوات الإطباق التي أشرنا إليها سابقا على أنها تكاد تنحصر استعمالها باللغة العربية، فاستعمال الطاء في العربية

أرجح حتى بين بعض لهجاتها، فعلى سبيل المثال: إنّ اللغة الحِمْيَريّة وهي لغة قوم من أقوام بلاد اليمن تبدله من صوت آخر وترجح استعمالها؛ كون الطاء تتناسب مع طبيعتهم البدوية، فهم يبدلون من الدال المجهورة طاء أجهر منه، فيقولون في مثل: ما أبعدَ داركَ – ما أبعطَ طارك، وهذا يشير إلى أن العربية وبعض لهجاتها تستعمل هذه الأصوات كثيرا؛ لتناسبها مع طبيعة متكلميها الجغرافية، ومن أجل هذا حاولت اللغة الكردية أن تبدل صوتا آخر منه حينما استعملت كلمة (خط) فقالت: خه ت، بإبدال الطاء تاءً؛ لكون التاء أخف وأسهل في النطق من الطاء، فالتاء يمتلك صفة الهمس، والطاء يمتلك صفة الجهر، فضلا عن اختصاصه بالعربية، بل تتميز اللغة العربية به، وهو ثقيل على لسان الكرد حتى أنّهم يصادفون المشكلة السابقة نفسها، وهي عدم قدرة نطق لسانهم بالطاء عند تعلمهم اللغة العربية فيبدلون منه تاء من مخرجه بصفة أخف وأسهل؛ لتناسب هذه الصفة مع طبيعتهم المتمثلة بالحضرية؛ لأنهم يسكنون الأراضي الجبلية الضيقة على عكس أغلب العرب الذين يسكنون الأراضي المنبسطة والصحاري الواسعة، وهذا الجدول يذكر بعض الكلمات التي جرت فيها إبدال التاء من الطاء(١٩):

الكلمة في اللغة العربية	الكلمة في اللغة الكوردية
خط	خه ت
سطل	سةتل
طشت	تةشت
طاعون	تاعوون
طلاق	تةلاق

٤.إبدال السين من الصاد: إن هذا النوع من الإبدال يشبه الإبدال بين الذال والزاي فيما سبق، فكما أن الكُردي عند تعلُّمه اللغة العربية يزيح لسانه من استعمال صوت الذال الى الزاي فكذلك يزيح لسانه من استعمال الصاد الى السين، وكون الباحث يُدرِّسُ في إقليم كُردستان، فإنه يجد الطلبة يعانون كثيرا من نطق الصاد سينا حتى في استعمال الكلمات العربية الخالصة التي لا تشارك بها غيرها، وقد يستمر هذا الأمر مع الطلبة في قسم اللغة العربية حتى السنة الرابعة إلى ما بعد التخرج، فيقولون في مثل: نصير – نسير، وفي: بصير – بسير، والشيء الملفت للنظر في أمر هذا الإبدال، وكذلك إبدال الزاي من الذال أنهم يبدلون ذلك من دون شعور بل يغرقون في إبداله؛ أي: يكون الإبدال بين الصوتين طبْعيا لا تصنعيا، ومن هنا نقول: إنّ الانتقال من صوت الصاد الى السين جاء بسبب الانتقال من صوت مليء مطبق إلى صوت خفيف أسهل من المخرج نفسه، فضلا عن أن السين يحمل صفير الصاد، وهذا ما يستنتجه الباحث من خلال اتقانه للغتين العربية والكردية، وخبرته في مجال تعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها، وإلا فإنه يبقى في الذهن سؤال مُشْكِلٌ، وهو: لماذا لم تعدل اللغة الكردية الى استعمال صوت آخر غير السين ؟!... فإن لظاهرة الانحدار الذي توصل إليه الباحث أثر كبير في إبدال السين من الصاد كما جرى بين الذال والزاي، فاللسان ينحدر بشكل طبيعي إلى السين بدلا من الصاد، فضلا عن صفة السين وهي الاستفالة، وصفة الصاد وهي الاستعلاء.

الكلمة في اللغة العربية	الكلمة في اللغة الكردية
صابون	سابوون
صندوق	سندووق
صبر	سةبر

وإليك قائمة من الكلمات التي دخلت إلى اللغة الكردية من اللغة العربية لكنها أبدلتْ كل صاد فيها سينا (٢٠):

٥.إبدال الصوت (ث) من الباء: إن الناظر في عموم لهجات اللغة العربية الفصحى لا يجد على لسان ناطقيها أنهم يستعملون صوت (ث)، التي تقابلها باللغة الانجليزية (P)، وهو من الأصوات الذي لا يمت بصلة باللغة العربية بل هو صوت يشتهر بها اللغة الانجليزية بكثرة،

وربما اللغات الأجنبية االأخرى، وهو صوت مشهور في اللغة الكردية بكثرة فيقولون: ثةرى، يعني: ملاك، وثاسةوان، يعني: الحارس، وغيرها كلمات كثيرة، وبما أن هذا الصوت مستعمل بكثرة في اللغة الكردية، وهو يكاد يكون من أصول أصواتها، لأنه يقابل الباء العربية في التوصيف، وهذا يعني أنه من أصول أصوات لغتها، فلم يكن غريبا من أن يعدلوا من الباء العربية الخاصة الى (ث)؛ نظرا للتقارب الموجود بين نطق الصوتين من حيث المخرج والصفة تقريبا، إذ إنّ مخرجها واحد وهو ما بين الشفتين مع الضغط عليهما إلا أن الضغط بالصوت (ث)، أقوى من الباء العربية.

وهذا ما جعل اللغة الكردية تنتقل من الباء العربية الى صوت أقرب منه صفة ومخرجا فضلا عن كون (ث) من أصول أصواتها، فيقولون في: باقلاء – ثاقلا.

ونستنتج مما سبق أن اللغة الكردية عندما تتأثر باللغة العربية في استعمال كلماتها تحاول في الأغلب أن تجريها على أصول قواعها الخاصة كما أشرنا إليها في المبحث الأول، وتسعى إلى إبدال صوت تشبه الصوت العربي صفة، وهذا ما أدركناه في المبحث الثاني.

الخاتمة والاستنتاجات

لقد توصل الباحث من خلال دراسته لهذا البحث إلى الأمور الآتية:

١. إن اللغة الكردية عاشت بين طيات اللغة العربية وتشبّعت من كلماتها؛ بسبب اعتناق القومية الكردية للدين الإسلامي، ووفرة المناهج الدراسية العربية، ورحيلهم الى المناطق العربية، فالمجاوَرة فالمصاهرة وغير ذلك.

٢. إن ندرة أو عدم وجود معاجم كردية مسبقة للبحث عن المعاني الجديدة أدت باللغة الكردية إلى أن تلتقط لهذه المعاني كلمات تُعبر عن المعاني المطلوبة من أقرب لغة لها وهي اللغة العربية.

٣. إن اللغة الكردية لها قواعد خاصة لأداء المعاني المختلفة حالها حال اللغات الأخرى، وبذلك أجرت كثيرا من الكلمات العربية الدخيلة إليها ونظمتها حسب هذه القواعد الخاصة بها.

٤. إن للغة الكوردية طريقة كتابية خاصة بها في تأليف الكلمات تشبه الكتابة العروضية للشعر العربي تقريبا.

٥. إنها تتأثر بالكلمات العربية وتستعملها بعينها دون تغيير في بنيتها المعجمية تارة، وتارة أخرى تجريها على حسب قواعدها الصرفية والصوتية.

٦. إنها تحاول أن تبدل صوتا من صوت آخر قريبا منه في المخرج أو متحدا معه، وكذلك صفة أقرب من صفة الصوت المبدل منه.

الهوامش

١.ينظر: خلاصة تاريخ الكرد وكردستان، محمد أمين زكي: ٥٨.

٢.ينظر: لسان العرب، ابن منظور: ٣٨٥٠.

٣. ينظر: دوو رشته للدكتور عبدالكريم مدرس: ٢،٩١،٢٥

٤.ينظر: من أسرار العربية، الدكتور إبراهيم أنيس١٩٧٨: ١١٧.

٥.ينظر: واقع التعريب في الدول العربية ___ كردستان العراق انموذجا، عباس علي سليمان: ٤.

٦.ينظر: دوو رشته: ٤، ٣٢، ٢٩، ٣٣، ٣٢،٣٢.

٧.ينظر: دوو رشته: ٢٤و٣١، ٦٩، ٣٧.

٨.ينظر:المدخل الى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي، رمضان عبدالتواب: ٣٠-٣١. والأصوات العربية، ملوك عبدالزهرة عيدان: ١٧٦.

٩.ينظر: الأصوات اللغوية: ٧٥-٧٦

١٠.ينظر: الأصوات اللغوية: ٧٥، والأصوات العربية: ١٧٦

١١.ينظر: الأصوات اللغوية: ٧٤

١٢.ينظر: الصرف الكافي، أيمن عبدالغني: ١٨٣.

١٣.ينظر: الأصوات اللغوية: ٦٨.

١٤.ينظر: أطلس أصوات اللغة العربية، وفاء البيه: ١٤٨١.

١٥. ينظر: الأصوات اللغوية: ٥١، ٥٣.

١٦.ينظر: دراسة الصوت اللغوي، أحمد مختار عمر: ٣١٩

١٧.الأصوات اللغوية:،٥٣، والأصوات العربية: ١٧٨

١٨.ينظر: دوو رشته:٢٠،٦،٥،٤.

١٩.ينظر: دوو رشته: ٦١،٥٥،٢٨

٢٠.ينظر: دوو رشته: ٥٥،٥٢

المصادر

١. الأصوات العربية، ملوك عبدالزهرة عيدان، د.م.ط.

٢.الأصوات اللغوية الدكتور ابراهيم أنيس، مطبعة نهضة مصر.

٣. أطلس أصوات اللغة العربية، وفاء البيه، الهيئة المصرية العامة للكتاب.

٤. خلاصة تاريخ الكورد وكوردستان، محمد أمين زكي، دار الشؤون الثقافية-العراق- بغداد.

٥. دراسة الصوت اللغوي، أحمد مختار عمر، عالم الكتب، القاهرة___مصر،ط٤، ٢٠٠٦.

٦. الصرف الكافي، أيمن عبدالغني، دار الكتب العلمية-بيروت،ط١.

٧. لسان العرب، ابن منظور، دار المعارف، تحقيق: عبدالله علي الكبير ومحمد أحمد حسب الله وهاشم محمد الشاذلي.

٨. من أسرار العربية، الدكتور إبراهيم أنيس، القاهرة، مكتبة الانجلو المصرية.

٩. المدخل الى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي، رمضان عبدالتواب،مكتبة الخانجي-مصر

١٠. واقع التعريب في الدول العربية ___ كردستان العراق انموذجا، عباس علي سليمان، بحث مقدم في جامعة صلاح الدين – أربيل (٢٠١٣/١/٣٠).